

بناء الزمن في رواية " مملكة الفراشة " لواسيني الأعرج د. سليمان لبشيري جامعة بسكرة

ملخص:

يعدّ الزمن مظهرًا من مظاهر السرد وعنصرًا قارئًا في بناء الرواية؛ لذلك ارتأينا أن نبحث في بنية الزمن، فكان الكاتب واسيني الأعرج وجهتنا ورواية مملكة الفراشة مدوّنتنا.

وفي هذا الخضم نطرح الإشكال التالي: ما هي بنية الزمن؟ كيف وظّف واسيني الأعرج الزمن في رواية مملكة الفراشة؟

الكلمات المفتاحية / الكلمات الدلّيلية: بنية الزمن، وتيرة السرد. الزمن عند الأعرج.

Le temps est l'un des aspects de la narration, et un élément constant dans la construction du roman, c'est pour cela, on a prévu de faire des recherches sur la construction du temps. L'écrivain Waciny Laredj était notre destination à travers son roman : " le royaume du papillon", A ce titre on peut poser les problématiques suivantes : Que signifie la construction du temps?

Comment Waciny Laredj a utilisé le temps dans son roman " le royaume du papillon? "

Les mots clefs : construction du temps, rythme de narration, le temps chez Waciny Laredj

تحليل بناء الزمن في رواية مملكة الفراشة:

أولاً - تحليل بنية زمن الأحداث:

- الاسترجاع

- الاستباق

ثانياً - تسريع زمن السرد:

- الخلاصة

- الحذف

ثالثاً - تبطيء زمن السرد:

- الوقفة

- المشهد

أولاً - تحليل بنية زمن الأحداث:

إن الاشتغال على فكرة النظام وتراكم الزمن أظهر أن الإبداع الروائي يقوم على مجموعة من المفارقات الزمنية التي أصبحت عنصراً بارزاً في بناء الزمن السردى عموماً والقصى خصوصاً، وفي مايلي عرض لهذه المفارقات:

1- الاسترجاع:

«إن استرجاع الماضي واستمراره في الحاضر لا يخضع للتسلسل الكرونولوجي المتسق وإنما يتم الاختيار والانتقاء من الماضي وفق ما يستدعيه انفعال اللحظة الماضية»¹ ويتجسد هذا من خلال الاسترجاع الداخلي والخارجي.

أ. الاسترجاع الداخلي:

يرتد إلى الماضي اللاحق لمنطلق الرواية أو بدايتها.

ومن أمثله نذكر: «كانت فرقة ديبو جاز مكونة من سبعة مولعين بحاضرهم ويعطر المدينة. أنا على الكلايرينات. جواد أو دجو على الساكسو. أنبس على القيتارة الجافة، شادي على الكلافية. رأسا على الباس حميدو أو ميدو على الباتري والطبل الأفريقي ودافيد أو ديف على الهارمونيكا و القيتارة الكهربائية. وإذا أضفنا صافو التي غادرتنا في وقت مبكر، نصبح ثمانية».²

تعتبر فرقة ديبوجاز من أهم الأماكن التي وردت في الرواية وقد تكلم عنها الكاتب في أكثر من موضع نظرا لأهمية الحدث، نجد الكاتب في هذا الموضوع قد عاد ليصف لنا الفرقة، وإرجاع القارئ لهذا الحدث المهم يومي بأهميته وسط أحداث أخرى.

«أنا أعرفك ورأيتك في المقبرة يوم وفاة حبيبي، السي زبير ربي يرحمه، كنت تلبسين جلبابا فضفاضاً، وتخفين وجهك بشال طورقي أسود. يومها عرفت أنك امرأة لا تشبه الأخريات وتذهب وراء علامتها حتى النهاية، حتى ولو كلفها ذلك حياتها. النساء كما الرجال، لا يتشابهن».³

استرجع السارد هذا الحدث ووظفه في لحظته لائقة تتماشى والنظام السردى هذا الحدث قد تطرق إليه الكاتب من قبل ولكن لم يخض في التفاصيل وبالتالي جاء ذكره هنا مناسبا في لحظة تناسب الوضع السردى القائم. وفي ما يلي توضيح ظاهر لطريقة الاسترجاع حيث عمد الكاتب إلى استخدام هذه التقنية خاصة في التركيز على حدث مهم في حياة البطل وهو موت الأدب حيث ذكره في كل مرحلة من مراحل الرواية نذكر مثلا:

«كان كلما ضاق بي الحال، انسحبت نحوه، وهو في مخبره الصغير، في الطابق من البيت، عندما يراني يترك كل شيء ويجلس على الصوفة الصغيرة ويضع رأسي على صدره ويهمس في أذني».⁴

«السي زوبير، ربي يرحمه كان رجلا طيبا، حضرت كل جنازات الحرب الأهلية و الحرب الصامتة التي تلتها، ولم أتخلف عن أية واحدة إلا يوم سرقوا مني حمامة، رأيتك وعرفتك من عينيك يوم جنازة السي زبير كما قلت لك، كنت تغطين فمك وجزءا من وجهك بالشال الطوارقي الأسود. أول ما دخلت عرفتك و إن شككت في البداية».⁵

لابد أن يكون هذا المسكين قد مات بالطريقة العنيفة نفسها التي مات بها بابا زوريا».⁶

«فجأة تذكرت موت أبي وهو يتدحرج مخرجا عند العتبة، أغمضت عيني، هو ما حدث معي كلما أحسست بخوف لكي لا أسقط من الأعالي التي تسكن رأسي فجأة».⁷

«مات بابا زوريا عند العتبة الخارجية ليتنا، في حرب لا يدري إن كانت عادلة أم لا».⁸

«خرج بابا زوريا من هذه الحياة بصمت غريب. لم أصدق يومها أن الرصاص التي وجهت لبابا زوريا كانت قاتلة وحقيقية، كانت بالقرب منه أودعه، عند الباب، كأن القناص كان رحيما إذ أمهله حتى قبلني على جبتهتي وضعني إلى صدره للحظات وهمس في أذني مثلما تعود أن يفعل كل صباح».⁹

كان بابا زوريا يحبني، وكنت أبدو له أكثر رزانة وأكثر هشاشة من أختي ماريا التي كنت أبدو لها بهلولة لا تعرف كيف تدافع عن حقها».¹⁰

«يوم مات بابا زورا لم يتغير شيء في العالم بكينا أنا وأمي وأختي ماريا التي جاءت من مونتريا ثم اندفن كل واحد في مكانه الأول».¹¹

«منذ مقتل بابا زورا، في يوم من الأيام وجدتها في وضع أربكني وأخافني كثيرا كان قلق الأسطح قد زاد، لم تستطع حتى دوريات ماسي، الشرطي اللطيف الذي اتصلت به العديد من المرات، أن توقفها».¹²

«قبل وفاته بأسابيع قليلة، عندما أصر عليها، أجابت ماما فيرجي بعنف وبشكل جاف أراه لأول مرة في وجهها».¹³

«يومها في المقبرة رأيت حقدا كبيرا في عيني مدير مخابر السلام، لم يأت للجنائز ولكنه جاء ليتأكد من أن بابا زورا مات حقيقية. كانت لبابا صديقات، كل هذا صحيح يا يما، لكنه كان يحبك وتخاف عليك كثيرا».¹⁴

«كل هذه الإسترجاعات كانت منصبة على حدث مهم ولكن بطرائق مختلفة وهذا دليل على أن هذا الحدث هو همزة وصل بين ماضي الشخصية وحاضرها و بالتالي قد يكون للمضي علاقة بمحاولة استشراق المستقبل، وقد يكون أحد الحوافز التي دفعت الشخصية لمحاولات تجاوز واقعها ووضع مستقبل جديد، وإعطاء المعلومات عن الماضي عنصر من عناصر القصة، وتذكير لأحداث ماضية حدثت فيما سبق كما في قوله أيضا:

مع أنها منذ طفولتي كانت كلما رأيتي منحنية قليلا بظهري، تقول لي: احذري. اجعلي ظهرك مستقيما وإلا ستكبرين بحدة تضحك الناس عليك لا تزال ملاحظاتها تظن في رأسي».¹⁵

قبل يومين من وفاتها قالت لي وهي التي ورثتني القراءة بكل اللغات التي أنقنها وحب الكتب: احذري حبيبتي أن تجي كاتباً حياً. الأموات لا يؤذون. الميت نغلفه بحضوره وتشتاقه في غيابه».¹⁶

ب. الاسترجاع الخارجي:

هو الذي تضل سعيته كلها خارج سعة الحكاية الأولى، ولا يوشك في أي لحظة أن يتداخل معها لأن وظيفته الوحيدة إكمالها عن طريق تنوير القارئ بخصوص بعض الأحداث السابقة.

تأخذ معظم الاسترجاعات الخارجية في رواية مملكة الفراشة منحني واحدا حيث تسترجع ياما ذكريات طفولتها أو بعض المواقف مع حبيبها فاوست كما في أمثلة التالية:

«عندما كنا صغارا، باقان نوار النرجس للطفل الذي استقرت عليه أعيننا من بين كل الأطفال، لا أدري يومها إذا كان الذكاء وحده المقاس أو الجمال؟ كنت أذهب دومها نحو الأطيب ومن يشعرني بالأمان ويمنحني فرصة أن أكون مجنونة الحلم ولا يسخر من هبلي».¹⁷

«قبل سنتين تقريبا فكرت في السفر نحوه عندما أخبرني بعرض مسرحيته الجديدة انتحار خيرية. اشتريت بطاقة مكلفة لأنه كان علي الذهاب إلى باريس ومن هناك أغير نحو بوينوس آيس الأرجنتينية».¹⁸

تسترجع ياما أيضا جوانب من حيوات شخصيات فنية وأدبية مختلفة. قد لا تشكل جزءا هاما من خطاب الرواية، لكنها تعتبر مؤشرات بارزة لفهم ما بعثري كوامن بعض الشخصيات، وفهم ما يختلج في نفسها كما في المثالين التاليين:

«ريما كانت أمايا شيساتو التي لم أعرفها أنا أيضا إلا من بعض صورها وبعض رسائلها».¹⁹

تتذكر جيدا ذلك اليوم الدافئ من أيام أبريل من سنة 1941 الذي مات ملأت فيه فرجينيا وولف جيوبها بالحجارة لتنتقل جسدها النحيل ونزلت إلى نهر أوز القريب من بيتها في مونكيز هاوس monks وتركت رسالة لزوجها.²⁰

2 - الاستباق:

يعد الاستباق من أكثر أنواع الزمن استعمالا في رواية مملكة الفراشة، ويتجلى ذلك من خلال استباقه لمحمل الأحداث التي ستجري في زمن لاحق، ونحن لسنا بصدد ذكر جميع هذه الأحداث وإنما لإبراز ماهو جلي منها والتطرق إلى ما سيجري منها لا إلى ماهو جار. أ. الاستباق الداخلي:

من أمثلة الاستباق الداخلي في الرواية مايلي:

كوزيت غادرت البلاد إلى مونتريال في ظروف قاسية منذ اصطدامها العنيف مع أخي ريان.²¹ قبل أن تبدأ حرب التقتيل اليومي، وتعقبها عشر سنوات من الحرب الصامتة وتخسر ديف الذي كان أنشطنا، ليتحول إلى جرح مفتوح صعب أن يتغلق في مقبرتي الداخلية التي تكاثر عدد سكانها.²² يعتبر هذا الاستباق بمثابة توطئة لأحداث لاحقة يجري الأعداد لسردها من طرف الراوي، لأن هذا الاستباق قد تطرق إليه الكاتب بدقة في الرواية. كما أن هذا الحدث كان على شكل إعلان لما ستؤول إليه مصائر كوزيت زريان. وكذا ديف الذي كان ضحية لحرب التقتيل اليومي. ومن أمثلة الاستباق أيضا:

نساؤك حبيبي. نساؤك كثيرات، كيف تفعل معهن عندما يركض إلى المطار نحوك. وكل واحدة تظن أنها ستلتقي بحبيبها الأوح الذي سيطلب من سائق السيارة الذي سيأخذه إلى فندق خمس نجوم أن يقودهما نحو أقرب بار أو أجمل مرقص ليلي يقضيان فيه بعض الليل، ويقضيان البعض المتبقي في مخمل سرير اللذة حيث يصعدان الجنون إلى أقاصيه.²³ قريبا سأضع حدا لعطش دام أكثر من ثلاث سنوات. سأرمي بنفسي بين ذراعيك ولن أسأل عن شيء آخر يمكن أن يريك اشكارة اللحظة.²⁴

لأني قريبا لأعرف أي جني سيركبني ويدفع بي إلى ارتكاب حماقة التي لا يمكن تقاديتها؟ وينتهي كل شيء وتتوقف الحياة التي استمرت زمنا طويلا تنثر أوهاهما القلقة.²⁵ 777 رسالة مجنونة هي هديتي له يوم ألقاه للمرة الأولى ليعرف كيف أن امرأة امتلأت به حتى الموت كتابة، ولم يأبه لها كثيرا، لم يطلب شيئا آخر سوى أن يهبها الله كل يوم قدرة صافية لحبه أكثر.²⁶ يتضح من خلال هذه الفقرات استدعاء الراوي لأحداث يستشرف وقوعها، وذلك بالاستناد إلى حقائق ملموسة نشهدها في الوقت الراهن، فهل ستتحقق هذه الرؤى؟ طبعاً بعد قراءة الرواية يتضح ذلك وهذا هو الدور المهم الذي يلعبه الاستباق.

ب. الاستباق الخارجي:

لم يكن للاستباق الخارجي حظ كبير في رواية مملكة إلا ما وجدناه خلال تدقيق وتعمق في الرواية. نذكر على سبيل المثال:

والحرب القادمة ستمزق البلاد والعباد، وستدخل الناس في وحشية مطلقة من التقتيل، مدمرة بشكل نهائي كل نسيج القرون الماضية لهذا وجب الحفاظ على كل مدخراتها الثقافية و المالية.²⁷
أتصور أنه بعد سنة أو عشر سنوات، لن يبق شيء من ذلك، ولن يكتب لي أن أراها ثانية. ستتحول إلى سلسلة من الذكريات و الصورة المختومة على البطاقات البريدية.²⁸
ثانيا - تسريع زمن السرد:

يتنامى السرد وفق تقنيتي التبطيء والتسريع حسب الضروريات السردية وتلاعبات الراوي بذهن الملتقي، بهدف خلق التشويق عند هذا الأخير. ويعتمد على الخلاصة والحذف.

1- الخلاصة:

استعمل واسيني الأعرج تقنية الخلاصة وذلك بسرد أحداث ووقائع حرت في مدة طويلة وقام باختزالها في جملة واحدة أو كلمات قليلة دون التعرض إلى تفاصيلها ومن أمثلة الخلاصات في الرواية نذكر:
ربما كنت مفيدة أكثر. كوزيت غادرت البلاد إلى مونتيل في ظروف قاسية منذ اصطدامها العنيف مع أخي رايان. قصة طويلة.²⁹

هذه المقطوعة النثرية تتحدث عن صراع قام بين كوزيت وأخوها رايان، لم يتطرق الكاتب لحديث عن تفاصيل الصراع وإنما اكتفى بقوله: قصة طويلة. تتجسد هذه الخلاصة في طبيعة العلاقة القائمة بين الأخت والأخ.
«على مدار العشر سنوات الحارقة أكلت الحرب الأهلية أكثر من 200 لأف إنسان».³⁰

اكتفى الكاتب بقوله: على مدار العشر سنوات. بحيث لم يتطرق إلى التفاصيل لأنه أراد فقط أن يوضح ما خلفته الحرب الأهلية طيلة هذه الفترة، فاختصر على توضيح عدد القتلى وألغى بقية الأحداث التي حصلت أكلتني أصابعي القلقة التي جفت على مدار السنوات الثلاث التي مضت وهي تكتب له في كل لحظة حتى تشبعت به.³¹

استخدم الكاتب جملة: على مدار السنوات الثلاث معربا بذلك عن كثرة الكتابة التي أدت إلى تآكل أصابع ياما.

وكذا نجد نفس الدلالة في قوله:

وعلى مدار شهرين تعلمت رياضة السكاكين، لم تكن صعبة، ولكنها كانت تعتمد على الخفة و الرشاقة.³²
«بعد أكثر من ستة أشهر عاد إلى البيت منهكا متعبا... بأن لا».³³

لم يتطرق الكاتب إلى تفاصيل غياب رايان عن البيت لمدة ستة أشهر. فاكتمى بقوله: بعد ستة أشهر. ولم يتطرق إلى الأحداث كاملة ثم سلمتها رواية ألكسيس زوريا، أعادتها لي بعد يومين وهي تبسمل وتحوقل.³⁴
الأسبوع الذي مر كان قاسيا علينا، فقد تعبنا من الصور... بقوة.³⁵

«عاد بعد أيام محملا... المسيحي».³⁶

وها قد مرت كل المواسم... في.³⁷

كما نجد أيضا بعض الوقائع التاريخية التي لم تمحى من الذاكرة وهي ما تعلق بحياة سيرين بسرعة وحياة الأدب زوربا:

«كبرت سيرين بسرعة وبدأت العلامات... في الأفق».³⁸

«بعد أسبوع من مقتل بابا زوربا جاءت الشرطة... إلا مقدمته».³⁹

2- الحذف:

وهي أن يقوم الراوي التقليدي بضمير الهو بإسقاط فترة زمنية أو قصيرة من زمن الحكاية، دون أن يتطرق إلى ما جرى فيها من الأحداث وما مر بها من الشخصيات حيث يوجد الحذف المعلن: وهو الحذف الذي يصرح فيه الراوي بحجم المدة المحذوفة، وأيضا الحذف غير المحدد أو الضمني: وهو الحذف الذي لا يعلن فيه الراوي صراحة عن حجم الفترة الزمنية المحذوفة بل نفهمه ضمنا ونستنتجه استنتاجا يقوم على التدقيق والتركيز و الربط بين المواقف السابقة واللاحقة.

«قلبي الصغير هش يا فاوست؟ هل ستتمكن حواسي من الصبر؟ ثم...».⁴⁰

يصف لنا الكاتب حالة ياما وهي تعاني من بعد فاوست حيث جاءت دلالة الحذف على عجز ياما وصف حالتها وبالتالي اختار الكاتب الحذف بدلا من فتح مجال للافصاح عن جميع العواطف.

وهذا ما نجده أيضا في قوله:

«رفضت أن أضعها على واجهة حائطه ولكنني ظممتها إلى الملف الخاص به ورميتها في عمق

الدرج...».⁴¹

ومن نماذج الحذف أيضا:

«ولا سماء ولا بحر والحقول لا عطر برتقال ولا ليمون ووووو...».⁴²

دلالة الحذف في هذا المقطع هي التلميح للعدم وكذا هو دليل على الاختصار فبدلا من ذكر كل شيء اكتفى بوضع مجموعة من النقاط المتابعة.

«ليس كثيرا ولكن...».⁴³

دلالة الحذف في هذا المقطع هو التردد في القول و اختيار الصمت بدلا من الكلام أو ربما إعطاء المجال للقارئ حتى يمكنه من التخمين فيما أراد الكاتب قوله.

لماذا لا أرى في عمق أعين الناس إلا الحيرة و المبهمة؟ ثم... لماذا يتقادى الناس عبور الجسر من شمال المدينة إلى جنوبها... بلا دان.⁴⁴

هنا بيان لحالة ياما لما رأت الحيرة في وجوه الناس. فاستغرابها هذا تركها تفكر في حل لأزمة العبور من الشمال المدينة إلى جنوبها.

«أكون جدية معك... الحياة الافتراضية يا بابا ليست سيئة أمام حياة... الصميم».⁴⁵

قام الكاتب بإسقاط بعضا من كلام ياما مع أبيها في الفترة الزمنية التي كانت تتحدث معه واكتفاء الكاتب بأهم ما دار بينهم من حديث ومن أمثلة الحذف أيضا نجد:

«بأن يونا أيبكو الصغيرة... امرأة مخدوعة».⁴⁶

«ماما بوريس مجرد...».⁴⁷

يا أمي... أنا لم أعد أفهم شيئا.⁴⁸

لكن... يبدو أنه ملل مني.⁴⁹

«....».⁵⁰

يما....⁵¹.

الزمن لصعب يا غالية... الزمن الصعب... من طفولته.⁵²

عمق ذلك الحلم... الموت الجميل.⁵³

حبيبي بوريس... وفي قلبك...⁵⁴

ثالثا: تبطئ زمن السرد:

تشتمل هذه التقنية على خاصيتي الوقفة والمشهد، وفيما يلي عرض لأهم المواقف والحوارات التي وردت فيهما هاتين الخاصيتين في رواية مملكة الفراشة.

1- الوقفة:

لجأ الكاتب إلى تقديم مجموعة من الأحداث، وصفها وصفا دقيقا وذلك من خلال بعض الوقفات التي اعتمدها، ومن نماذج الوقفات التي تواجهنا في هذه الرواية نذكر قول الكاتب:

كانت فرقة ديبوجاز مكونة من سبعة شباب مولعين بحاضرهم وبخطر المدينة أنا على الكلارينات. جواد أودجو على الساكسو. أنيس على القيتارة الجافة، شادي على الكلاوية. رشيد أو راشا على الباس. حميدو أو ميدو على الباتري والطبل الأفريقي داوود أو ديف على الهارمونيكا والغيتارة الكهربائية وبصحون ثمانية إذا أضفنا عازفة البيانو صفية أو صافو، ذات الصوت الشجي، التي هاجرت مع والديها بمجرد اشتعال نار الحرب الأهلية.⁵⁵

يصف لنا الكاتب في هذا المقطع فرقة ديبوجاز التي كانت ياما عضوا فيها، ونجد أنه قدم لنا أعضاء المجموعة واحدا واحدا، كل والآلة التي كان يستعملها؛ يحمل هذا الوصف دلالة الأهمية. لأن هذا الوصف يهتم القارئ ويهيئه لفهم الرواية.

« انتقل بعده إلى النتيجة بدعوة من صديقه لون بيتون المولود في مدينة بوفاريك الذي كان قد استفاد من اكتشاف الدكتور تريكو واشترى اكتشافه فأضاف الماء الغازي لعصير البرتقال الذي كان ينتجه، وسمى مشروبه ترانخينا في البداية قبل أن يستقر على اسم أورنجينا. ثم اشتغل مع ابنة جون كلود بيتون الذي واصل مشروع والده وأسس الشركة الفرنسية لمنتجات أورنجينا. قبل أن يشتري مخزنا في العاصمة. في المرتفع المطل على البحر، ويصبح واحدا من الموزعين المعتمدين لشركة أورنجينا بقي في مخزنه حتى مرضه وموته. عندما اقترح عليه جون كلود بيتون الانتقال إلى مرسيليا رفض وفضل البقاء بمحاذاة زوجته وابنته... نفذت وصيته حرفيا كما أرادها».⁵⁶

يصور لنا هذا المقطع من الرواية عن جد ديف الاسباني الذي انتقل إلى مدينة وهران والتحق ببعض أعمامه الذين يعملون في اصطلاح الأراضي وقد وصف لنا الكاتب كيف استطاع اكتشافه أن يحقق نجاحا باهرا من خلال إضافته الماء الغازي للعصير ليصبح مشروبه تحت اسم أورنجينا.

هذه الوقفة أراد بها الكاتب بيان خوض مايا في التفاصيل الدقيقة لديف الذي كان صديقها قبل أن يموت. «فقط لأتحمل غيابه الذي استمر ثلاث سنوات وشهرين وخمسة أيام وثلاث ساعات وعشر دقائق وسبع ثاني بالضبط في اللحظة التي تأملت فيها عقرب الساعة وهو يركض نحو منتصف الليل»⁵⁷.

لنحسب 3050 - 1500 مقتول شهريا، غير الذين بينهم أمراض الحروب الأهلية طبعاً من أزمت قلبية وجنون وسكري وتشكيلات السرطان التي تعددت وتوقفت الحرب منذ عشرات سنوات. في السنة الواحدة يموت 12 = 1500 و 18000 وفي عشرات سنوات 10° 18000 = 180000 تقريبا العدد نفسه الذي أكلته الحرب الأهلية.⁵⁸

هذه الوقفة هي عملية رياضية بين الكاتب من خلالها اهتمام مايا بغياب حبيبها فواست وكذا العدد الهائل للموتى الذي خلقتهم الحروب الأهلية دلالة هذه الوقفة لا تقف على حد الوصف فقط وإنما تقف أيضا على الاهتمام المفرط حتى بدقائق الأمور كحساب الدقائق والثواني وكذا عمليات الحساب التي تبين عدد الموتى. وهو ما يعكس وصف نفسية ياما في عالم البعد والحرب.

في اللحظة نفسها سمعت في الخارج صوتا شجيا كأنه بكاء، كان يأتيني ناعما ودافئا فتحت النافذة. كانت السماء بلا نجوم باردة وقائمة، المدينة مستكنة بقدر غامض. جاءتني الآيات القرآنية واضحة. أصغيت لها اسمع أو من البرد بكل بساطة، أو حتى من الظلمة.⁵⁹

الوقفة هنا كانت وصف ياما للجو الذي كان يخيم على المدينة ساعة سماعها لبكاء يأتي من الخارج مصحوبة بآيات قرآنية، وكيف كانت حالتها بعد هذه الحادثة هذه الوقفة تأخذ القارئ إلى عالم الخيال حيث حاول الكاتب رسم هذا الحدث في ذهن القارئ لأنه كان ذكرى مهمة في حياة ياما.

الزبير ابن عوام الأسدي القرشي عرفت مثلاً أنه ولد في 594م وتوفي في 656م ما يعنني بعملية حسابية بسيطة أنه عاش 62 عام كنت أريد لوالدي عمرا أطول وأجمل، أسلم الزبير ابن عوام عمره خمسة عشر سنة كان ممن هاجر إلى المدينة مقتنيا خطوات الرسول تزوج أسماء بنت أبي بكر شهد غزوة بدر وجميع الغزوات التي قادها الرسول. كان مرافقا للخليفة عمر ابن الخطاب ورسوله في المدد. شجاعته كانت استثنائية كما يحكي عنه الأولون. ولما اغتال أبو لؤلؤة عمر ابن الخطاب، كان الزبير من الستة أصحاب الشورى اللذين عهد عمر إلى أحدهم بشؤون الخلافة من بعده....

قدر زوريا الإغريقي الذي عاش الحياة بكل عنفوانها السخي⁶⁰.

الوقفة هنا لم تكن وصفا للأشياء أو وصفا نفسيا، بل كانت تعريفا شخصية الزبير بن العوام ووفاته وشجاعته وبعض مواقفه، هذا لأن أب ياما يسمى زبير دلالة هذه الوقفة تبين سعة الاطلاع لدى الكاتب وولعه بالأسماء.

«للملائكة سحر خاص لا يؤذون مثلما يؤذ البشر بعضهم بعضا أحيانا يأتون مجتمعين ويمنحونني المتعة بسخاء كبير واحد أنيق في قلبه، وآخر ناعم في ملمسه وثالث مدهش بحنانه وخوفه علي وسيدهم من يتحسس بأنامله مكان الحواس لاستثارتها. وعندما اغرقوا في دوار اللذة يسحبني أقواهم نحوه داخل نوره المبهر.

ويضمنني بقوة، فأبدو على صدره حماسة سعيدة بما حدث له، ترفرف بعينيها المليئتين بالرغبة، طلبا للمزيد، ولا يتخلنى عني إلا عندما يغرقني في بهاء نوره كلياً فأتماها معه حد التلاشي. عندما ينسحب عن جسدي. تأتي الملائكة الأخرى وترش على وجهي رحيق الزهر وعود النوار وماء البرتقال وروح البنفسج... قبل أن أقوم مع الفجر للصلاة».⁶¹

يعكس لنا هذا الوصف الشعور الذي ينتاب سيرين صديقة ياما. تحمل دلالة هذا الوصف وظيفة تصويرية. إذ يصور لنا ذلك الحالة النفسية والمزاجية، حيث غلب على هذا الوصف المورفولوجي.

ومن أمثلة الوقف في رواية واسيني الأعرج نجد مثلاً قول الكاتب يصف لنا كيف مات زوريا أبو ياما:

كنت بالقرب منه أودعه عند الباب كأن القناص كان رحيماً إذ أمهله حتى قبلني على جبهتي وضممني إلى صدره للحظات وهمس في أذني مثلما تعود أن يفعل في كل صباح... رأيت فقط ارتسامه خط أحمر على جبهته في البداية قبل أن يفيض الدمع على وجهه. سقط وهو يحاول أن يلتفت نحوي في حركة جد صعبة ضننت فيها للحظات أن والدي كان يرسم بجسده المتمايل أشكالاً للحركات البطيئة تدحرج رأسه ثم لاحت يده في الفراغ. مد يده إلى جبهته بصعوبة كبيرة... لم يسمعني أحد ولا حتى هو.⁶²

وكذا في قوله: «كانت فيرجي تضع رأسها وشعرها على كتفي بوريس في الثانية كانت برفقته في مقهى لدوماكو في الثالثة كانت بين جون بول سارتر وبوري سفيان وشخص ثالث لم أعرفه. وفي أخرى كانا يظهران على سلم سفينة وهما يلتفتان لتوديع الأقارب، وفي خامسة كانا على حافة بحيرة هدرسون في مناهتن، في نيويورك كانا في قمة السعادة في صورة سابعة كانت أكبر من البقية في إطار زجاجي، كانت أُمي نصف عارية تدفن رأسها في صدره عميقاً وفي عينيها سعادة غريبة ولذيذة تتأتى عادة بعد لحظة حميمية عنيفة يعقبها دفئ وتيه في العينين والحواس. في صورة ثامنة... ثم وهما على متن سيارة بورش قديمة كذلك التي تمتطيها جيمس دين ومارلين مونرو».⁶³

يظهر لنا من خلال هذه الوقفة تقديم الكاتب مجموعة من الأسماء التي كانت ياما مولعة بها هي وأمها فيرجي التي أصبحت فيما بعد شخصية بوري سفيان.

2- المشهد:

استخدم واسيني الأعرج هذه التقنية في روايته، حيث نجد في أكثر من موضع أن الزمن الذي جرى فيه الحد مساو لزمن السرد، واتضح ذلك في المقاطع الحوارية التي أسند فيها الكاتب الكلام للشخصيات هي التي تتكلم بلسانها، ومن نماذج المشهد في رواية مملكة الفراشة نذكر:

«وسألته فقط ليدرك أن منعه لي تعلم الكلايرينات لم يكن في محله:

- لماذا تكره هذه الآلة يا أستاذ.

- لأنها غير مريحة. طولها ومنقارها وهيأتها لا تعجبني
- مع أنها آلة ناعمة ولذيذة وناعمة.
- من قال هذا الكلام الفارغ⁶⁴
- يصور لنا هذا المشهد الحوار الذي دار بين ياما وأستاذها الذي يكره آلة الكلايرينات محاولة بذلك إقناعه بأن هذه الآلة جيّدة ويجب تعلمها.
- ساعد هذا الحوار في بيان مدى تمسك ياما وحبها للموسيقى وبالأخص آلة الكلايرينات التي كانت مولعة بها.
- « قلت لحبيبي فاوست ذات مرة ونحن في محادثة واشتد بين الحنين له وقبله مسروقة، في غفلة من القنلة، الركض معك في مدن التيه قبل الموت بسكرة العاشقة بين ذراعي
- ضحك كعادته.
- ههههههههههه...
- واصلت جنوني وأحلامي الهاربة
- خليني نشوفك على الأقل وأتأكد من أنك حقيقة ولست حلما هاربا حتى في السكايب إذا أحببت قبل أن يداهمني الموت في مدينة أصبحت توفره بسخاء...
- أنت معي حبيبي في كل لحظاتي.
- أين الآن؟
- في منفاي؟ تعرفينه جيدا
- مؤشر المكان في الفيسبوك لا يظهر لك في أي مكان. أريد أن أراك. أن أضمك إلى صدري. أن أشبع من أنفاسك القلقة وهي تتقطع على صدري لذة وجنونا.
- كلما طال الغياب، كان اللقاء أروع وأجمل
- حبيبي فاوست، أصبحت هشة جدا لدرجة أنني لم أعد أعرف نفسي...
- وماذا أقول عن منفاي الذي قارب العشر سنوات؟ في العينين أنت يا أجمل عمر...»⁶⁵
- «دفن بجانب أبناء عمومته في مقبرة وهران المسيحية اليهودية. يحبني يا أمي، وهذا يكفيني.
- كيف تفعلين مع الأولاد.
- لم نصل بعد إلى هذا.
- ستصلين يوم إلى هذا.
- يومها سأقول لك.
- خليني نشوف أمه.
- ماتت.
- أبوه.
- عاد إلى مدينة روندا. أرض أجداده، عندما تعقدت أمور بلادنا وبدأوا يقتلون الأجانب.

- لماذا ترحل العائلة كلها معه؟
- أبوه لم يضع وقته أبدا. انتظرهم شهرين ثم رحل»⁶⁶
- هذا الحوار الذي دار بين ياما وحبيبها فاوست، وبين ياما وأمها قد ترك مجالا واسعا للشخصين من أجل الإفصاح عما بنفسيهما، دون أن ننسى أنه ترك القارئ يعيش هذا المشهد.
- ومن نماذج المشهد في الرواية نذكر:
- «قال لهم حياتي غالية علي ولست مستعدا للانتحار. ديف اختار البقاء مع أمه التي لم يكن لديها خيار آخر سوى أن تبقى بجانب قبر والدها وبعض أهلها. بينما تزوج أبوه بامرأة أخرى في رواندا يبدو أنه كان يعرفها من قبل.
- شهران لينسف حياة بأكملها؟ على كل هذا ليس غريبا للرجال يتشابهن في كل أراضي الدنيا. حتى واحد ما أفضل من الثاني. يتشابهن في كل التفاصيل. على كل حال حكاية دافيد ماتعجبنيش.
- بما تعجبك ما تعجبكش. حياتي وتخضي وحدي.
- وأنا أمك؟ وإلا خضرة فوق طعام؟
- أنت أمي. نقطة
- أخرجني شخص كان يقف ورائي من غفوتي وهو يكرر:
- أختي دورك من فضلك ماراحش نباتو هنا
- تقدمت نحو الصراف وأخرجت خلا خيل أمي وأساورها كلها.
- نظر إلى وجهي طويلا حتى أخجلني. ربما ليتأكد من أنني لم أسرقها ثم قال وهو يهز رأسه:
- وين راح تروحي يا بنتي؟ أي بلد عربي تذهبين نحوه.
- يقول في أعماقه: أنتم السابقون ونحن اللاحقون. خليك في أرضك.
- ولكن مارانيش رايحة أبقى برا. أرواح للقاهرة وأعود.
- تخزي بيا. اللي يروح برا مايرجعش.
- ولكنني راجعة. رايحة في مهمة ثقافية فقط لثلاثة أيام.
- كاتبة؟
- صحفية.
- من أصحاب الفيسي.
- حرام عليك يا أخي. أحضر ندوة الشيخ عائض القرني حماه الله من أعداء الاسلام، وأعود هناك حملة دينية لمناصرة هذا الرجل الكبير.
- ترهنين أو تبيعين.
- أبيع.
- قلتها للذهاب بلا أدنى تفكير.
- بعث كل ممتلكاتي من الذهب والفضة لأتمكن من شراء بطاقة سفر كانت تتجاوز إمكاناتي الاعتيادية»⁶⁷

« خرج يومها الرجل الذي حاوز بابا زوريا حول فكرة التسليح غاضبا:

تريدون من الدولة أن تقوم بكل شيء، حتى تحميكم داخل بيوتكم؟

لست في حرب ضد أحد. بينوا لي عدوي المفترض وسأقف معكم الصدفة هي التي وضعتني في مكان، ووضعت غيري في مكان آخر.

أنت ترى هذا العدو يقتل يوميا الناس. وتسالني؟

إنه بدون وجه أو بكم لا يعد الأفعنة.

أنت مسئول عن نفسك وعن عائلتك وعن صيدلية ابنتك أيضا. ثم خرجا غاضبا»⁶⁸

سجلنا إفادتكم في المرة الأولى ولكن التحريات المخبرية والبالسية بينت عكس ما تقولين. تعرفين أن القانون يعاقب من يقول حقيقة غير الحقيقة.

هل هناك حقيقة غير حقيقة؟ ربما أنا لم أر شيئا. رأيت والدي يسقط عند رجلي.

نتفهم حبك لوالديك، لكن أعداء البلاد استغلوا كلامك في الصحافة وقاموا بتشويه صورة البلاد لمنع السياح من زيارة مدننا، ويريدون إغراقها في الموت، بينما كما ترين الأمن عاد لبلادنا والحمد لله.

- لم يعد شيء يا سيدي وإلا لما قتل والدي.

- والدك لم يقتل إنما أصيب بوعكة صحية، لو وجد وقتها من يسعفه لما مات.

- معك حق سيدي. كان علي إسعافه لحظتها.

- أفهم يا الفاهم كان يجب ولكنك لم تفعلي ونحن نتفهم خوفك مما حدث لوالدك أمام عينيك. نريد أن توقعي على الافادة الجديدة لأنك الشاهد المباشر.

- لن أقتل والدي مرة ثانية، أما السياحة والأمان، كل شيء ظاهر والحمد لله.⁶⁹

واجهنا الحارس بزعيق غريب هو أيضا كانت أسنانه كلها منخورة:

- هذا حد المسموح به في الزيارة يا لالة مولاتي. مابعد هذا، اسمه السجن المؤبد والإعدام؟ إذا كنتم تريدان الدخول، تعطيكما رقمين وتنتظران متى يأتي دوركما في الإعدام؟ ما رأيكما؟ أنا مستعد أن أفتح لكما الباب. واش قلتو؟

قالت أمي وهي تحاول أن تسترجع أنفاسها المتقطعة:

- حابة نشوف وليدي رايان فقط.

- أنا يا يما مانعرفش رايان. لا حاجة لي بالأسماء أصلا، أعطني رقمه أقول لك من؟

- وليدي اللي دخل الآن يجري أمامك.

- أعرف اللي قتل مربي خيول القصر الجمهوري السبعي.

- وليدي سبع ونص.

- لا ليس هذا قصدي رقمه هو هذا: 7777777 وينادونه هنا السبعي أي السبع سبعات، لا يريد أن يرى أحد

هذه عادة السبعي ربما كان نادما على قتل مربي خيول الحرس الجمهوري.⁷⁰

هذه المشاهدة مختارة من الرواية باختلاف الشخصيات المتحاوره ولا يسعنا ذكر جميع المشاهد لأنها كثيرة.

استطاعت تلك الأحداث في ضل تبادل الحوار بين الشخصيات وفي إطار الزمن الخارجي للقصة أن تجعل القارئ يعيشها.

وما تختص به هذه الحوارات أن بعضها غارق في الماضي وأخرى اتخذت اللحظة زمنا لها.

وعلى ضوء هذه الدراسة خلصنا إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

• لعب الزمن في رواية واسيني الأعرج دورا هاما في بناء أحداث الرواية وتأزمها وذلك لتعبيرها عن أبعاد ثقافية واجتماعية وسياسية وايدولوجية وتاريخية...

• وظّف واسيني الأعرج تقنية الزمن توظيفا جيّدا ومحكما وذلك باستخدامه جميع تقنياته.

• توجد علاقة وطيدة بين الزمن وبقية التقنيات، حيث استطاع الزمن أن يحرر شخصيات الرواية من الجمود وأسهم في بث الحياة فيها، وذلك بتحولها من شخصيات ورقية إلى شخصيات مجسدة على أرض الواقع.

• اتسم الزمن السردي داخل المتن القصصي بنوع من التناوب فتارة يستعمل القاص الاسترجاع في حالات الاستشراف والأحداث السابقة لأوانها.

• ترتيب أحداث الزمن السردي تم وفق أحداث الزمن الطبيعي، ونادرا ما نلاحظ عدم التوافق بينهما.

• تحققت في الرواية الأربعة مشهد وحذف وتلخيص ووقف، فقد اعتمد على المشهد والوقفة في تبطّئ السرد، واعتمد على الحذف والتلخيص في تسريعه.

• إن حركة الاستشراف والاستنكار تتم بديها نحو المستقبل ونحو الماضي وهذا يشكل بعدا أفقيا للنص الذي يفرض وجود زمن واقعي تنطلق منه هذه الحركات ثم تعود إليه.

• رواية مملكة الفراشة هي رواية حفلت بالعديد من الأبعاد والدلالات وكانت بذلك أرضا خصبة للدراسة، بل تستحق دراسات عديدة من جميع الجوانب وبكل أنواعها وما عملنا هذا إلا قطرة من بحر دراسات المتخصصين.

مكتبة البحث:

¹ مها حسن القسراوي: الزمن في الرواية العربية، ص 192.

² واسيني الأعرج، مملكة الفراشة، دار الهدى للصحافة والنشر والتوزيع، دبي، ط1، 2003، ص 218.

³ الرواية، ص 233.

⁴ الرواية، ص 233.

⁵ الرواية، ص 238.

⁶ الرواية، ص 63.

⁷ الرواية، ص 59.

⁸ الرواية، ص 114.

⁹ الرواية، ص 115.

¹⁰ الرواية، ص 117.

¹¹ الرواية، ص 119/118.

¹² الرواية، ص 142.

- 13 الرواية ، ص 151-152.
- 14 الرواية ، ص 166.
- 15 الرواية ، ص 196.
- 16 الرواية ، ص 219.
- 17 الرواية ، ص 34.
- 18 الرواية ، ص 69.
- 19 الرواية ، ص 172.
- 20 الرواية ، ص 141.
- 21 الرواية ، ص 12.
- 22 الرواية ، ص 16.
- 23 الرواية ، ص 49-50.
- 24 الرواية، ص 48.
- 25 الرواية، ص 55.
- 26 الرواية، ص 225.
- 27 الرواية، ص 192.
- 28 الرواية، ص 244.
- 29 الرواية، ص 12.
- 30 الرواية، ص 52.
- 31 الرواية، ص 68.
- 32 الرواية، ص 72.
- 33 الرواية، ص 88.
- 34 الرواية، ص 103.
- 35 الرواية، ص 137.
- 36 الرواية، 160.
- 37 الرواية، ص 136-137.
- 38 الرواية، ص 105.
- 39 الرواية، ص 192.
- 40 الرواية، ص 56.
- 41 الرواية، ص 75،
- 42 الرواية، ص 97.
- 43 الرواية، ص 100.
- 44 الرواية، ص 113.
- 45 الرواية، ص 118.
- 46 الرواية، ص 165.
- 47 الرواية، ص 169.

- 48 الرواية، ص 170.
- 49 الرواية، ص 194.
- 50 الرواية، ص 175.
- 51 الرواية، ص 195.
- 52 الرواية، ص 198.
- 53 الرواية، ص 200.
- 54 الرواية، ص 212/213.
- 55 الرواية، ص 14.
- 56 الرواية، ص 30-31.
- 57 الرواية، ص 34-35.
- 58 الرواية، ص 35.
- 59 الرواية، ص 62.
- 60 الرواية، ص 98/99.
- 61 الرواية، ص 110/111.
- 62 الرواية، ص 115/116.
- 63 الرواية، ص 182-183.
- 64 الرواية، ص 18-19.
- 65 الرواية، ص 25-26.
- 66 الرواية، ص 39.
- 67 الرواية، ص 83-84.
- 68 الرواية، ص 92.
- 69 الرواية، ص 123-124.
- 70 الرواية، ص 189-190.